الالتزام بالضوابط العلمية في دراسة الأديان عند علماء المسلمين

الرجوع إلى المصادر الأصلية للأديان نموذجا

الدكتور يوسف الشاطر

جامعة سيدي محمد بن عبد الله: فاس - المملكة المغربية

الملخص

يعنى هذا البحث ببيان جهود علماء المسلمين في علم الأديان، وإسهاماتهم في تطور هذا الحقل العلمي وأثرهم البارز في نشأته، خاصة على مستوى وضع الضوابط العلمية المؤسسة والمؤطرة لهذا العلم. البحث يركز على ضابط مهم هو الرجوع إلى المصادر الأصلية للأديان المدروسة، والتي تجعل من دراسة الأديان دراسة علمية موضوعية، قريبة من حقيقة الأديان. فيكشف مدى التزام علماء المسلمين بهذا الضابط العلمي، وذلك من خلال الغوص في مؤلفاتهم حول الأديان، والتنقيب فيها عما يؤكد رجوعهم لتلك المصادر الأصلية للأديان، ثم مقارنة ما عندهم من نصوص مع ما يقابلها في تلك المصادر. ولم يقتصر البحث على عالم واحد أو عالمين، بل قدم عددا كبيرا من علماء المسلمين الذين رجعوا إلى مصادر الأديان الاصلية، كما أنه لم يقتصر على ديانة واحدة، بل قدم أديانا متعددة، ليؤكد في نهاية الأمر أن هذا المنهج في البحث لم يكن ظاهرة استثنائية في الفكر الإسلامي، بل مبدأ في البحث التزم به كل عالم مسلم خاض لجة هذا العلم الذي يعنى بدراسة الأديان.

الكلمات المفتاحية: علماء المسلمين – دراسة الأديان – الضوابط العلمية – المصادر الأصلية

Research Summary

This research is concerned with showing the efforts of Muslim scholars in the science of religions, and their contributions to the development of this scientific field and their prominent impact on its emergence, especially at the level of setting the scientific controls that establish and frame this science. The research focuses on an important officer, which is to refer to the original sources of the studied religions, which makes the study of religions an objective scientific study, close to the truth of religions. It reveals the extent of Muslim scholars' commitment to this scientific discipline, by diving into their books about religions, and excavating in them what confirms their return to the original sources of religions, and then comparing their texts with the corresponding ones in those sources. The research was not limited to one

or two scholars, but presented a large number of Muslim scholars who referred to the sources of the original religions, and it was not limited to one religion, but presented multiple religions, to confirm in the end that this approach in the research was not an exceptional phenomenon in Islamic thought, but rather a principle in research committed to by every Muslim scholar who entered the abyss of this science, which is concerned with the study of religions.

Keywords: Muslim scholars - study of religions - scientific controls - original sources

مقدمة:

بعد النشأة الفعلية لعلم الأديان في الغرب ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر للميلاد[1]، وضع علماء الأديان مجموعة من القواعد العلمية والضوابط الأخلاقية لدراسة الأديان دراسة علمية موضوعية، بعيدا عن العنف والتعصب والأحكام المسبقة والجدل العقيم. وهذا لا يعني أن تلك القواعد العلمية والضوابط الأخلاقية لم تكن موجودة ومتداولة قبل ذلك، وإنما تم تقريرها وتأصيلها فقط. ولعل من أبرز هذه القواعد العلمية التي وضعها علماء الأديان لكل راغب في اقتحام لجة هذا العلم البحر، إلى جانب الالتزام بالحياد والموضوعية، نجد الرجوع إلى المصادر الأصلية للأديان المدروسة.

ولا شك أن الرجوع إلى المصادر الأصلية لكل ديانة لاستقاء المعلومات عنها، يعد من أبرز معالم المنهج العلمي الحديث في دراسة الأديان والتأريخ لها ونقدها؛ إذ به يكون الحديث عن الديانة حديثا موضوعيا صادقا، لا لبس فيه ولا شك، فتؤخذ الأقوال والمعتقدات والأفكار عن كل ديانة من مصادرها الموثوقة، والمعترف بها لدى أصحابها، وبما كتبوه هم عن أنفسهم لا ما كتبه غيرهم عنهم. كما ويعد اعتماد المصادر الأصلية للديانة المدروسة من أكثر المؤشرات دلالة على العلمية والموضوعية. وقد قرر الباحثون المعاصرون في علم التاريخ – حسب عبد الله الشرقاوي – ضرورة استقاء المعلومات والبيانات في الدراسات التاريخية من منابعها الأولى ومصادرها الأصلية، وأطلقوا على هذه المنابع والمصادر اسم الوثائق والأصول التاريخية."[2]

وعن أهمية هذه الخطوة وضرورتها يقول حسين مؤنس: "فنحن نعتمد في كتابة التاريخ على ما يسمى بالوثائق، والوثيقة هي ما يوثق كلامك، ويدل على أنك تقوق ما

1 اختلف الباحثون حول نشأة هذا الفرع العلم وحول مؤسسيه الأوائل، فمن قائل إنه نشأ منذ أقدم العصور مع الإغريق والهنود والرومان، ومن مقر بفضل الحضارة الإسلامية في بروزه وتأسيسه، ومن مرجع نشأته الحقيقية والعلمية للغرب. وعموما فهذا العلم يمكن اعتباره علما إنسانيا مشتركا بين جميع الحضارات والشعوب التي مرت في الأرض، فكل منها أسهم بقسط فيه إلى أن كمل ونضخ في الغرب منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

2 الشرقاوي عبد الله، علم مقارنة الأديان في التراث الفكري الإسلامي، منهجا وقضايا، دار الكتب العلمية بيروت، 30

تقول وتكتب ما تكتب معتمدا على أصول يمكن لغيرك أن يطلع عليها ليتحقق من صحة كلامك، وصواب أحكامك؛ لأننا لا نصدر في كتابة التاريخ عن الهوى، أو الذاكرة، أو الانطباع الشخصي، أو العاطفة، بل على الوقائع التي تؤيدها الوثائق."[1]

وإذا كان هذا هو المنهج المعتمد اليوم في دراسة الأديان في العالم كله، وإذا كانت التقنيات الحديثة قد سهلت عملية الرجوع إلى المصادر المقدسة لمختلف أديان العالم، وبكل لغات العالم، فإننا نتساءل عن تطبيق هذا المنهج في العصور القديمة، وخاصة مع علماء المسلمين، مع قلة الإمكانيات وندرة الكتب المطبوعة وشح ترجماتها.

لقد انكب علماء المسلمين على دراسة الأديان منذ القرون الأولى للإسلام، وصفا وتأريخا ونقدا وجدالا ومقارنة، فخلفوا لنا مكتبة ضخمة من المؤلفات المهمة الخاصة بالأديان، ولا تكاد تجد علما من أعلام الإسلام البارزين، إلا وتجد له كتابا في الأديان، فهذا الجاحظ له "المختار في الرد على النصارى"، وهذا الشهرستاني كتب "الملل والنحل"، وهذا البيروني ألف "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"، وهذا القاضي عبد الجبار وضع "المغني" و "تثبيت دلائل النبوة"، وهذا ابن حزم صنف "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، وهذا الجويني خطَّ "شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، وهذا ابن تيمية حرَّر "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"، وهذا ابن القيم دوَّن "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى"، وهذا الغزالي دبَّج "الرد الجميل لألهية عيسى بصريح الإنجيل". إلى غير ذلك من علماء.

وقد اتبع علماء الإسلام هذا المنهج، أي الرجوع إلى المصادر الأصلية للأديان، وطبقوه عمليا خلال تأريخهم ونقدهم لمختلف الأديان، بل إن منهم من نص عليه صراحة في مقدمة كتابه، مثل أبي الفتح الشهرستاني الذي اشترطه على نفسه في المقدمة الثانية من كتابه "الملل والنحل" فقال: "شرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما

1 مؤنس حسين، التاريخ والمؤرخون، دار المعارف، القاهرة، طبعة 1984، ص 49

وجدته في كتبهم."[1] ومثل أبي الريحان البيروني الذي صرح بأنه بذل جهدا كبيرا في جمع كتب الهند من مظانها، من أجل الاعتماد عليها في كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"، فقال: "ولقد أعيتني المداخل فيه مع حرصي الذي تفرّدت به في أيّامي، وبذلي الممكن غير شحيح عليه في جمع كتبهم من المظانّ، واستحضار من يهتدي لها من المكامن."[2]

وقد تنوعت مصادر علماء المسلمين من الكتب المقدسة للأديان، فإضافة إلى كتب الديانتين اليهودية والنصرانية التي كانت منتشرة ومتداولة في العالم الإسلامي بحكم التعايش والجوار، وبحكم التسامح الذي عرف به المسلمون تجاه هاتين الديانتين، اهتم بعض علماء المسلمين بكتب الأديان الأخرى، كالمجوسية والصابئة وأديان الهند.

ورغم كل ما سبق، فإن هناك أصواتا تبخس جهود علماء المسلمين في الرجوع إلى المصادر الأصلية للأديان، وتدعي أن معلوماتهم حول الأديان مأخوذة من مصادر شفهية في أغلبها، أو من ترجمات ركيكة نشرها الوراقون وبائعو الكتب، نظرا لعدم توفر ترجمات كاملة وصحيحة للكتب المقدسة للأديان إلا في زمن متأخر، ولعدم معرفة علماء المسلمين باللغات الأخرى التي كتبت بها تلك الكتب. وهذا ما يجعل دراساتهم تلك بعيدة كل البعد عن العلمية والموضوعية المنشودة في دراسة الأديان.[3]

فهل اعتمد علماء المسلمين في دراساتهم للأديان على كتبها المقدسة والمؤسسة؟ وهل توفرت لديهم ترجمات كاملة ودقيقة لتلك الكتب؟ أم أنهم استعانوا بوسائط من أهل

---

1 الشهرستاني محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن قاعود، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثالثة، 1993، ص 22

2 البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب بيروت، طبعة 1403، ص21

3 من بين الباحثين الذين أشاروا إلى ذلك: زالمان شازار في كتابه "تاريخ نقد العهد القديم" وحافا لازاروس في كتابها "الإسلام ونقد العهد القديم في العصر الوسيط".

تلك الأديان ممن خالطوهم لمعرفة عقائدها وشعائرها ومقالات فرقها وغير ذلك مما يتعلق بها؟

وجوابا عن الأسئلة السابقة يأتي هذا البحث ليغوص بنا في بعض مؤلفات علماء المسلمين في الأديان، منقبا عن المصادر التي اعتمدوها والتي منحت مؤلفاتهم طابعا علميا وموضوعيا. وليؤكد لنا سبق علماء المسلمين في مجال دراسة الأديان دراسة علمية موضوعية، قائمة على أسس علمية وضوابط أخلاقية في البحث العلمي لم يعرفها الغرب ولم يطبقها إلا بعد ذلك بقرون من الزمن.

أما عن الدراسات السابقة المتعلقة بهذا الموضوع، فيمكن تقسيمها إلى نوعين:

النوع الأول: دراسات عامة عن جهود علماء المسلمين وأثرهم في علم الأديان. وفي هذه الدراسات نجد إشارات عامة ومختصرة إلى رجوع علماء المسلمين إلى المصادر الأصلية للأديان التي درسوها. ومن أمثلة هذه الدراسات كتاب "الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان" لعبد الله دراز. وكتاب "في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات" لعبد الله الشرقاوي. وكتاب "علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام" لإبراهيم تركي.

النوع الثاني: دراسات خاصة بعلم واحد من أعلام المسلمين في دراسة الأديان. وفي هذه الدراسات نجد ذكرا مستفيضا للمصادر التي رجع إليها العالم المسلم موضوع الدراسة في دراسته للأديان. ومن أمثلة هذه الدراسات كتاب "نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي" لعدنان المقراني. وكتاب "نقد الأديان عند البيروني" لعمر بن سكا.

وهكذا فالنوع الأول من الدراسات ينقصه التفصيل والاستقراء، إذ تبقى إشاراته عامة ومختصرة. والنوع الثاني ينقصه الإكثار والتنويع، إذ يقتصر على علم واحد فقط.

أما بالنسبة لبحثي فقد حاولت أن أجمع بين ما سبق من الدراسات، فذكرت عددا كبيرا من علماء المسلمين، وفصلت القول فيما يؤكد رجوعهم للمصادر الأصلية للأديان، حتى لا يقال إن هذا الأمر كان حدثا استثنائيا في الفكر الإسلامي. وقد تطلب مني البحث عملين مهمين: أولهما هو الرجوع إلى مؤلفات علماء المسلمين في الأديان

لاستقراء ما يؤكد رجوعهم للمصادر الأصلية للديانات المدروسة، سواء كانت نصوصا أو إشارات أو غيرها. وثانيهما هو الرجوع إلى تلك الكتب المقدسة للتأكد من وجود تلك النصوص التي أوردها علماء المسلمين في كتبهم، والمقارنة بينها وبين ما هو موجود في تلك الكتب المقدسة عند الأديان. ولهذا فقد اعتمدت في هذا البحث على ثلاثة مناهج، هي المنهج الوصفي والمنهج الاستقرائي، إضافة إلى المنهج المقارن.

فجاء البحث بناء على ما سبق مقسما إلى ثلاثة مباحث، خصصت الأول للحديث عن مصادر علماء المسلمين من الكتب المقدسة للديانة اليهودية، والثاني لمصادر الديانة المسيحية، والثالث لمصادر باقي الأديان.

المبحث الأول: مصادر علماء المسلمين من الكتب المقدسة للديانة اليهودية

كان من الطبيعي جدا أن يتوجه اهتمام علماء المسلمين نحو الديانتين اليهودية والمسيحية، بحكم الجوار والاختلاط والتعايش الذي حصل بين المسلمين وأتباع تلك الديانتين، فكان من نتائج ذلك تخصيص أكثر المؤلفات لهاتين الديانتين. وعندما نقول اليهودية فإننا هنا نتحدث عن أهم مصادرها الدينية وهو العهد القديم[1] حسب التسمية

1 يعتبر العهد القديم أو التناخ المصدر الأول للديانة اليهودية. والعهد القديم هي تسمية مسيحية للأسفار المقدسة عند اليهود، وقد أطلقوها في مقابل تسميتهم للأناجيل بالعهد الجديد، ورغم إيمان المسيحيين بتلك الأسفار وضمها إلى الأناجيل في كتاب واحد هو الكتاب المقدس، إلا أنهم يعتبرونها متجاوزة ومنسوخة بالعهد الجديد. أما اليهود فلا يسمون أسفارهم المقدسة بتلك التسمية، ويرفضونها رفضا باتا، ولا يعترفون بالعهد الجديد؛ لأن شريعة موسى في معتقدهم لا تقبل النسخ أو الإبطال مطلقا، بل يطلقون عليها اسم "تناخ" أو "المقرا". وكلمة "تناخ" في العبرية هي اختصار لثلاث كلمات عبرية: (توراه – نبيئيم – كتوبيم) أي: التوراة، الأنبياء والمكتوبات. وهذا بيانها باختصار:

أسفار التوراة: التوراة هي القسم الأول من العهد القديم عند اليهود، وقد تطلق على أسفار العهد القديم كله من باب إطلاق الجزء على الكل، أو لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى عليه السلام لأنه أبرز زعماء بني إسرائيل. وكلمة توراة معناها الشريعة أو التعاليم الدينية، وتشمل التوراة الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم، وهي: 1 سفر التكوين: يروي خلق السماوات والأرض والإنسان، وتاريخ آباء بني إسرائيل من آدم إلى يوسف عليهما السلام. 2 سفر الخروج: يروي تاريخ بني إسرائيل في مصر، وخروجهم منها. 3 سفر اللاويين: يعالج واجبات الكهنة والطقوس الأخرى المتعلقة بالمعبد. 4 سفر العدد: يذكر تعداد رؤساء الشعب وحاملي السلاح. 5 سفر التثنية: وفيه إعادة للشريعة وتكرارها على بني إسرائيل.

المسيحية، أو التناخ كما يسميه اليهود، وهو مصدر كتابي. إضافة إلى التلمود[1] الذي يعد مصدرا شفهيا.

وقد كان العهد القديم من أكثر الكتب التي درسها علماء المسلمين، وفحصوها فحصا دقيقا أوصلهم إلى نتائج سبقوا بها علماء الغرب في العصر الحديث. وإن المطالع لكتب علماء المسلمين سيقطع الشك باليقين في اعتمادهم المباشر على هذه الكتاب، بل على نسخ متعددة منه، كما رجع بعض علماء المسلمين إلى التلمود أيضا وغيره من مصادر يهودية. وفيما يلي نماذج من علماء المسلمين الذين رجعوا للكتب المقدسة عند اليهود، وخاصة العهد القديم، واعتمدوا عليها بشكل مباشر في مؤلفاتهم.

1: الجاحظ أبو عثمان (توفي 255 هـ) في كتابه "المختار في الرد على النصارى"

رغم أن كتاب الجاحظ كان مخصصا للرد على النصارى، فإنه يبدو واضحا أنه قد رجع إلى نصوص العهد القديم، فقد أشار إلى الوصايا العشر الموجودة في سفر الخروج وإلى بعض ما تضمنته. يقول: "ولكنهم يخبرون أن الله تبارك وتعالى قال في

أسفار الأنبياء: وتتضمن استمرارا لما وقع من الأحداث لبني إسرائيل بعد موت موسى عليه السلام حتى خراب الهيكل وأورشليم. وأخيرا أسفار المكتوبات: وهي أسفار يغلب عليها الطابع الأدبي شعرا ونثرا.

ينظر في شان التعريف بالعهد القديم وأقسامه: شلبي أحمد، مقارنة الأديان اليهودية، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، طبعة 1997، ص 230 وما بعدها. الكلام يوسف، مدخل إلى دراسة تراث اليهودية، دار صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2018، ص 19 وما بعدها.

1 يأتي التلمود في الأهمية بعد العهد القديم، وهو عبارة عن مجموعة من الروايات الشفوية التي تناقلها الحاخامات من جيل إلى جيل، وبعد المسيح بمائة وخمسين سنة خاف الحاخام المسمى "يوضاس" أن تضيع هذه التعاليم الشفوية، فجمعها في كتاب سماه "المشنا". ومعنى كلمة المشنا، الشريعة المكررة، لأن المشنا تكرار لما ورد في توراة موسى. وفي السنين التالية أدخل حاخامات فلسطين وبابل كثيرا من الزيادات على ما دونه "يوضاس"، وأتم الربي يهوذا سنة 216 ميلادية تدوين هذه الزيادات والروايات الشفوية، فأصبحت كلمة المشنا تضم كل ما كتب من عهد "يوضاس" إلى عهد الربي يهوذا. واستعصت المشنا على بعض القراء، فأخذ علماء اليهود يكتبون عليها حواشي كثيرة وشروحا مسهبة، فسميت تلك الحواشي والشروح باسم "الجمارا". وهكذا صار التلمود يتكون من قسمين: المشنا والجمارا. شلبي أحمد، مقارنة الأديان اليهودية، مرجع سابق، ص 265 – 266.

العشر الآيات (أي الوصايا العشر) التي كتبتها أصابع الله: إني أنا الله الشديد، وإني أنا الله الثقف، وأنا النار التي تأكل النيران، آخذ الأبناء بحوب الآباء، القرن الأول والثاني والثالث إلى السابع"[1]. وذكر نصوصا من التوراة دون تحديد السفر: "وأن موسى قال في التوراة: خلق الله الأشياء بكلمته، وبروح نفسه. وأن الله قال في التوراة لبني إسرائيل: بذراعي الشديدة أخرجتكم من أهل مصر"[2]. وأورد نصوصا من سفر إيشعيا: "وأنه قال في كتاب إشعياء: احمد الله حمدا جديدا، احمده في أقاصي الأرض، يملأ الجزائر وسكانها، والبحور والقفار وما فيها، ويكون بنو قيدار في القصور، وسكان الجبال –يعني قيدار بن إسماعيل– ليصيحوا ويصيروا لله الفخر والكرامة، ويسبحوا بحمد الله في الجزائر... وأن الله قال أيضا في كتاب إشعياء: سكتُّ، قال هو: متى أسكت، مثل المرأة التي قد أخذها الطلق للولادة أتلهف، وإن تراني أريد أحرث الجبال والشعب، وآخذ بالعور في طريق لا يعرفونه"[3].

2: أبو الحسن العامري (توفي 381هـ) في كتابه "الإعلام بمناقب الإسلام"

هناك إشارات عديدة في كتاب العامري تؤكد أنه قد رجع إلى العهد القديم واعتمد عليه في حديثه عن الديانة اليهودية، منها مثلا ذكره لبعض ما تضمنه من أخبار، وقصص، وعقائد، وشرائع. ومن أمثلة ذلك قوله مبينا تقصير اليهود في اعتقادهم بالأنبياء: "وأما التقصير فبجحود اليهود نبوة إبراهيم، والاقتصار من وصفه على أنه كان

---

1 الجاحظ أبو عثمان، المختار في الرد على النصارى، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى، 1991، 75

2 رجعت إلى العهد القديم فلم أجد هذا النص كما أورده الجاحظ هنا، ولكني وجدت نصوصا مشابهة تحمل نفس المعنى، وهي: "لِذلِكَ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنَا الرَّبُّ. وَأَنَا أُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ وَأُنْقِذُكُمْ مِنْ عُبُودِيَّتِهِمْ وَأُخَلِّصُكُمْ بِذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ وَبِأَحْكَامٍ عَظِيمَةٍ" سفر الخروج، الإصحاح 6: 6. وأيضا: "وَقَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ: اذْكُرُوا هذَا الْيَوْمَ الَّذِي فِيهِ خَرَجْتُمْ مِنْ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ، فَإِنَّهُ بِيَدٍ قَوِيَّةٍ أَخْرَجَكُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَا. وَلاَ يُؤْكَلُ خَمِيرٌ" سفر الخروج، الإصحاح 13: 3. ولا شك أن هذا الاختلاف في النصو راجع إلى التنقيحات والتعديلات الكثيرة التي كان يتعرض لها الكتاب المقدس مع كل طبعة جديدة.

3 الجاحظ أبو عثمان، المختار في الرد على النصارى، مصدر سابق، 76

رجلا صالحا، ونسبتهم لوطا إلى الفجور ببنتيه في حال السكر"[1]. وهذه قصص وأحداث مشهورة في العهد القديم. ومن أمثلة ذلك أيضا قوله مبينا اعتقاد اليهود في الملائكة: "وادعاء اليهود أن الواحد فالواحد منهم قد يجوز أن يرتكب الكفر، وأن يعاقبه الله تعالى بالمسخ"[2].

كذلك رجع العامري للعهد القديم ليؤكد أنه بشر بالنبي صلى الله عليه وسلم. يقول: "على أنا لا نصدق بهذا القول إلا أن نأتي بشهادة الألفاظ المسطرة في كتبهم، خصوصا الكتابان اللذان أشار إليهما القرآن بقوله عز وجل: {ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ} (سورة الأعراف، الآية 157). فنحن إذن جدراء بأن نصرف السعي إليه، ونحل الشبهة بذكره، فنقول: إنا وجدنا في السفر الخامس في التوراة في الفصل الحادي عشر منه قول الله تعالى لموسى: إني أقيم لكم نبيا في أنفسكم ومن إخوتكم، وأيما رجل لم يسمع لما يؤديه ذلك النبي انتقمت منه[3]. ثم في هذا الفصل بعينه: إن الرب إلهك مقيم من بنيك ومن نفس إخوتهم نبيا مثلك فاسمعوا له وأطيعوا[4]. ثم في هذا السفر في الفصل العشرين منه: إن الرب جاء من طور سيناء وطلع من سعير وظهر من جبال فاران، وعن يمينه ربوات من القدسيين، فمنحهم القوة، ودعا بجميع قديسيه بالبركة"[5].[6]

---

1 العامري أبو الحسن، الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق ودراسة أحمد عبد الحميد غراب، دار الأصالة للثقافة والنشر، الرياض، ص 130

2 نفس المصدر، ص 131

3 جاء في سفر التثنية، الإصحاح 18: 18 – 19 "أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ. وَيَكُونُ أَنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي لاَ يَسْمَعُ لِكَلاَمِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أُطَالِبُهُ".

4جاء في سفر التثنية، الإصحاح 18: 15 "يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لَهُ تَسْمَعُونَ".

5 جاء في سفر التثنية، الإصحاح 33: 2 "جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ، وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ. فَأَحَبَّ الشَّعْبَ. جَمِيعُ قِدِّيسِيهِ فِي يَدِكَ، وَهُمْ جَالِسُونَ عِنْدَ قَدَمِكَ يَتَقَبَّلُونَ مِنْ أَقْوَالِكَ".

6 العامري أبو الحسن، الإعلام بمناقب الإسلام، مصدر سابق، ص 203

ولعل عبارة العامري "إنا وجدنا في السفر الخامس من التوراة" دليل قاطع على اعتماده على نسخة من العهد القديم كانت عنده. وإذا كانت نصوص العامري مختلفة شيئا ما عن النصوص الموجودة حاليا في الكتاب المقدس، كما يظهر من خلال المقارنة بين النصوص، فإن ذلك راجع للتنقيحات والتعديلات المتكررة والمستمرة التي يتعرض لها الكتاب المقدس مع كل طبعة جديدة.

وقد ختم العامري المبحث الخاص بالبشارات بالرسول صلى الله عليه وسلم بقول يؤكده توفره على العهد القديم كله واعتماده عليه. يقول: "فهذه هي الألفاظ الدالة على مواقع البشارة من التوراة والإنجيل بمحمد عليه السلام. ولولا أن استقراء ما في الكتب أجمع من بشاراته؛ أعني كتب أشعياء وحزقيال وأرميا ودانيال والزابور وغيرها أمر يطول، لأوجبت إيراد الشيء الكبير منها، وفي هذا القدر كفاية لمن كان الحق يعينه، ولم يكن الإلف والتعصب آفته".[1]

3: القاضي عبد الجبار الهمداني (توفي 415 هـ) في كتابه "تثبيت دلائل النبوة"

نجد أن القاضي عبد الجبار قد أورد نصوصا من العهد القديم في كتابه، مما يدل على رجوعه إليه. يقول مثلا في سياق رده على ادعاء النصارى بنوة المسيح عليه السلام لله تعالى: "ولكن قد جاء عنه أنه كان يقول في الله أنه أبوه، فيقول: أرسلني أبي، وقال لي أبي، ومثل هذا كثير، فما عندكم فيه؟ قيل له: إن كان قد قال هذا فلا حجة للنصارى فيه، لأنهم قد قالوا إنه قال لنا: أنا أذهب إلى أبي وأبيكم، وربي وربكم فلم يجعل لنفسه مزية عليهم، فإن وجب أن يكون هذا القول إلها وربا ومعبودا، وجب أن يكونوا هم كذلك، وقد قال بعض الناس: إن الابن في اللغة العبرانية التي هي لغة المسيح تقع على العبد الصالح المطيع الوليّ المخلص، وإن الأب قد تقع على السيد المالك المدبر؟ قالوا:

1 نفس المصدر، ص 208

وقد قال في التوراة: إن إسرائيل ابني وبكري وأولاده أبنائي؛ وعلى دعوى النصارى تجب لهم الإلهية. وقد قال إيشيعيا النبي عليه السلام في كتابه: إن الله أبو جميع العالم.[1]

4: أبو الريحان البيروني (توفي 440 هـ) في كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"

رغم أن كتاب البيروني هذا خاص بأديان الهند، مما كان يقتضي الرجوع إلى الكتب المقدسة للهنود خاصة، إلا أن توظيف البيروني لمنهج المقارنة جعله يرجع إلى الكتب المقدسة للأديان الأخرى. وكان العهد القديم مما رجع إليه البيروني، حيث نجده يشير إلى التوراة، وإلى كتب الأنبياء أيضا، وذلك في سياق حديثه عن استعمال كلمتي الرب والله في اللغات. يقول: "وإذا تأملناه[2] في العبرية والسريانية التين بهما الكتب المنزلة قبل القرآن، وجدنا "الرب" في التوراة وما بعدها من كتب الأنبياء المعدودة في جملتها، موازيا لله في العربي غير منطلق على أحد بإضافة كرب البيت ورب المال، ووجدنا الإله فيها موازيا للرب في العربي."[3] ولعل إشارة البيروني هنا إلى التوراة وإلى كتب الأنبياء بشكل عام دون تحديد سفر معين، قد يجعل البعض يشكك في رجوع البيروني لهذه المصادر، ويقول إن كلامه هذا مما هو متداول بين سائر الناس في الكتب. والجواب عن ذلك بأمرين: الأول هو أن إشارة البيروني للتوراة ولكتب الأنبياء كانت دقيقة، ومتعلقة بقضية لغوية تتطلب قراءة فاحصة للمصدر كله، فإنه قال: "وجدنا "الرب" في التوراة وما بعدها من كتب الأنبياء المعدودة في جملتها، موازيا لله في العربي"، أي أنه قرأ التوراة وكتب الأنبياء كلها أو جلها، ليخرج بهذه النتيجة، والتي لا يمكن أن يوصل إليها من خلال قراءة جزئية أو سماع من الناس. أما الأمر الثاني فهو أكثر حسما للمسألة، وهو أن البيروني قد أشار إلى عدد من أسفار العهد القديم بأسمائها، فقد أشار إلى سفر

1 القاضي عبد الجبار الهمداني، تثبيت دلائل النبوة، دار المصطفى القاهرة، ج 1، ص 119

2 الضمير يعود هنا على لفظ الله.

3 البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، مصدر سابق، ص 37

أيوب[1]: "وذكر في كتاب أيوب الصديق: إن الشيطان دخل مع بني أولوهيم إلى مجمعهم"[2]. وأشار إلى سفر المزامير[3]: "وفي المزمور الثاني والثمانين من زابور داود: إن الله قام في جماعة الآلهة"[4]. وأشار إلى سفر الملوك[5]: "فإن في سفر الملوك: إن الله تعالى عزى داود على ابنه المولود له من امرأة "أوريا"[6].

5: ابن حزم القرطبي (توفي 456 هـ) في كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل"

كان ابن حزم أشهر علماء المسلمين وأكثرهم اعتمادا على العهد القديم في كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، فقد كان كثير الاطلاع عليه، محيط بتفاصيله، مما جعله من أعلم الناس بالديانة اليهودية، حتى قال له أحد أقاربه ذات مرة معاتبا، ومبينا اهتمامه الكبير بالتوراة: "ونسيت أبا محمد حاشيتك وشيعتك، التي صرت رئيس مدارسهم، وكبير أحراسهم، تحدثهم عما كان فيهم من العبر، وتخبرهم بما تعاقب عليهم من الصفا والكدر، فتارة عن السامري والعجل، وتارة عن القمل والنمل، وطورا بحديث التيه، وطورا تضحكهم بقوم جالوت وذويه، حتى كأن التوراة مصحفك، وبيت الحزان معتكفك"[7].

إن القارئ لكتاب "الفصل" سيجد أن ابن حزم قد وظف كما هائلا من نصوص العهد القديم، مما لا يترك مجالا للشك في اعتماده المباشر عليه. وذلك خلافا لما شاع في بعض الدراسات من كون ابن حزم كان يستقي معلوماته حول التوراة اعتمادا على

---

1 يوضع سفر أيوب ضمن القسم الثالث من أقسام العهد القديم بعد التوراة وكتب الأنبياء، وهو القسم المسمى بالكتابات.

2 البيروني، تحقيق ما للهند، مصدر سابق، ص 38

3 يوجد كذلك مع أسفار القسم الثالث من أقسام العهد القديم. ويسمى كذلك بالزابور.

4 البيروني، تحقيق ما للهند، مصدر سابق، ص 38

5 ويوجد ضمن أسفار الأنبياء المتقدمين، وهو عبارة عن سفرين، الملوك الأول والملوك الثاني.

6 البيروني، تحقيق ما للهند، مصدر سابق، ص 39

7 كفايتي سعيد، دور ابن حزم الأندلسي في تأسيس علم مقارنة الأديان، بحث بمجلة التسامح، العدد22، السنة السادسة، مسقط 2008

وسيط، فالنصوص التي أوردها في "الفصل" – يقول سعيد كفايتي – مأخوذة عن نص كان بين يديه؛ وذلك لأن النصوص المستشهد بها جميعها على درجة عالية من الدقة والكمال. ناهيك عن وصف ابن حزم الدقيق للنسخة التي اعتمد عليها، وذلك في قوله: "وإنما هي مقدار مائة ورقة وعشرة أوراق، في كل صفحة منها ثلاثة وعشرون سطرا إلى نحو ذلك، بخط هو إلى الانفساخ أقرب، يكون في السطر بضع عشرة كلمة[1]."[2] وهذا وصف لا يمكن أن يقدمه إلا حامل للكتاب الموصوف بين يديه، ومتصفح لأوراقه.

بل أكثر من ذلك، اعتمد ابن حزم أكثر من نسخة واحدة للتوراة، وهذا ما يفهم من كلامه: "ورأيت في نسخة أخرى منها"[3] ولا غرابة في ذلك، فالتوراة والكتب اليهودية الأخرى لم تكن في الأندلس عزيزة المنال؛ فقد كثرت – كما لاحظ ذلك أحمد شحلان – الفتاوى حول هذا النوع من الكتب. بل وحذرت إحدى الفتاوى شراء الكتب من اليهود باستثناء كتبهم الدينية[4]. يقول المستشرق الإسباني آسين بلاثيوس معبرا عن دهشته من المعرفة الوافية لابن حزم بمصادر الأديان التي يدرسها: "إن الشيء الذي يثير الذهول والدهشة في الواقع هو رؤية كاتب مسلم من القرن العاشر الميلادي بمثل هذه المعرفة الوافية بالمؤلفات والكتب التوراتية، مع تحليل شديد الدقة، بشكل كبير، لنصوصها المقارنة، كما لو كان يمكن أن يفعله ويقوم به عالم متخصص في القرن العشرين، وذلك من خلال نسختين مختلفتين في ترجمتين عربيتين قدم بهما كتاب التوراة الذي يصف ابن حزم مخطوطته بإتقان العالم بأمور الكتب الدينية والخبير بدقائقها، معترفا علانية وبوضوح، بجهله باللغة العبرية الأصلية".[5]

---

1 ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل بيروت، ج1، ص285

2 كفايتي سعيد، دور ابن حزم الأندلسي في تأسيس علم مقارنة الأديان، مرجع سابق

3 ابن حزم، الفصل، مصدر سابق، ج1، ص208

4 كفايتي سعيد، دور ابن حزم الأندلسي في تأسيس علم مقارنة الأديان، مرجع سابق

5 مغيل آسين بلاثيوس، ابن حزم القرطبي، وتاريخه النقدي للأفكار الدينية، ترجمة محمد القاضي، محمد العمارتي، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، الطبعة الأولى 2021، ص 330 – 331

كما اعتمد ابن حزم في دراسته لليهودية على مصادر أخرى إلى جانب العهد القديم، منها التلمود، بحيث أشار إليه أكثر من مرة، منها مثلا في قوله: "وَفِي كتاب لَهُم يُسمى شعر توما من كتاب التلمود، والتلمود هُوَ معولهم وعمدتهم فِي فقههم وَأَحْكَام دينهم وشريعتهم، وهم من أَقْوَال أَحْبَارهم بِلَا خلاف من أحد مِنْهُم. فَفِي الْكتاب الْمَذْكُور أَن تكسير جبهة خالقهم من أَعْلَاهَا إِلَى أَنفه خَمْسَة آلَاف ذِرَاع. حاش لله من الصُّور والمساحات وَالْحُدُود والنهايات[1]". ومنها أيضا قوله: "وَفِي كتاب آخر من التلمود يُقَال لَهُ سادر ناشيم[2] وَمَعْنَاهُ تَفْسِير أَحْكَام الْحيض، أَن فِي رَأس خالقهم تاجا فِيهِ ألف قِنْطَار من ذهب، وَفِي أصبعه خَاتم تضيء مِنْهُ الشَّمْس وَالْكَوَاكِب، وَأَن الْملك الَّذِي يخْدم ذَلِك التَّاج اسْمه صندلفون. تَعَالَى الله عَن هَذِه الحماقات[3]". ومن المصادر اليهودية التي وظفها ابن حزم أيضا كتاب "الآثار اليهودية" للمؤرخ اليهودي المشهور فلافيوس يوسيفوس. فقد ذكر المستشرق الإسباني أسين بلاثيوس المتخصص في ابن حزم في دراسته الوافية عنه وعن كتابه "الفصل" أنه كان يستشهد بنصوص من "الآثار اليهودية" للمؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس الذي ولد بالقدس عام 37 ميلادية.[4]

6: أبو الفتح الشهرستاني (توفي 548 هـ) في كتابه "الملل والنحل"

هناك إشارات كثيرة في كتاب "الملل والنحل" توحي باطلاع الشهرستاني على العهد القديم واعتماده المباشر عليه في دراسته لليهودية، ومن هذه الإشارات:

– ذكره للمحتوى العام للأسفار الخمسة المشكلة للتوراة، وهذا لا يمكن أن يخبر به إلا من قرأ التوراة كلها. يقول: "وقد ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الله تعالى خلق آدم بيده، وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده. فأثبت لها

---

1 ابن حزم، الفصل، مصدر سابق، ج1، ص 163

2 سادر نشيم סדר נשים وهو أحد الأقسام الستة المكونة للمشنا. وسادر نشيم هو كتاب النساء الذي يتضمن النظم والأحكام الخاصة بالزواج والطلاق.

3 ابن حزم، الفصل، مصدر سابق، ج1، ص 164

4 بلاثيوس، ابن حزم القرطبي وتاريخه النقدي للأفكار الدينية، مرجع سابق، ص 331

اختصاصا آخر سوى سائر الكتب، وقد اشتمل ذلك على أسفار. فيذكر مبتدأ الخلق في السفر الأول، ثم يذكر الأحكام والحدود، والأحوال والقصص، والمواعظ والأذكار في سفر سفر".[1]

– إخباره ببعض الحقائق التي جاءت في التوراة، والتي لا يمكن أن يصل إليها إلا القارئ المدقق والمتمعن والفاحص. ومثال ذلك إخباره بحقيقة اشتمال التوراة على ما يؤكد صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. يقول: "واعلم أن التوراة قد اشتملت بأسرها على دلالات وآيات تدل على كون شريعة نبينا المصطفى عليه الصلاة والسلام حقا".[2]

– إشارته إلى بعض الأحكام الواردة في التوراة، وذلك في قوله: "وفي التوراة أحكام عامة، وأحكام خاصة، إما بأشخاص، وإما بأزمان...".[3]

– استدلاله ببعض النصوص التوراتية، كتلك التي تثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم: "وقد ورد في التوراة أن الله تعالى جاء من طور سيناء، وظهر بساعير، وعلن بفاران".[4]

المبحث الثاني: مصادر علماء المسلمين من الكتب المقدسة للديانة المسيحية

إذا كان العهد القديم أهم مصدر ديني لدى اليهود، فإن العهد الجديد يحتل نفس المكانة عند المسيحيين. ويطلق على العهد الجديد اسم الإنجيل كذلك، وإنجيل كلمة يونانية معناها "الحلوان" وهو ما تعطيه من أتاك ببشرى، ثم أريد بالكلمة البشرى عينها، أما السيد المسيح فقد استعملها بمعنى "بشرى الخلاص" التي حملها إلى البشر. وإذا أطلق لفظ الإنجيل هكذا دون تقييد باسم معين، قصد به العهد الجديد، والذي هو قسم من قسمي الكتاب المقدس عند المسيحيين، إلى جانب العهد القديم. ويتكون الإنجيل أو العهد الجديد من سبعة وعشرين سفرا موزعة على ثلاثة أقسام، قسم الأسفار التاريخية،

1 الشهرستاني، الملل والنحل، مصدر سابق، ص231

2 نفس المصدر، ص 233

3 نفسه، ص 235

4 نفسه، ص234

والذي يشمل الأناجيل الأربعة المعروفة (إنجيل متى وإنجيل مرقص وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا)، إضافة إلى رسالة أعمال الرسل التي كتبها لوقا. وقسم الأسفار التعليمية، والذي يضم إحدى وعشرين رسالة منسوبة كلها ل "بولس[1]" أحد أشهر الشخصيات المسيحية. أما القسم الثالث فيضم رؤيا يوحنا اللاهوتي[2].

وكان العهد الجديد كذلك، إلى جانب العهد القديم، من أكثر الكتب التي رجع إليها علماء المسلمين في دراساتهم للنصرانية. وفيما يلي نماذج من علماء المسلمين الذين رجعوا إلى العهد الجديد في دراساتهم للمسيحية.

1: الجاحظ أبو عثمان (توفي 255 هـ) في كتابه "المختار في الرد على النصارى"

نقل الجاحظ من الإنجيل في مواضع كثيرة من كتابه، منها مثلا في رده على ما يتعلق ببنوة المسيح عليه السلام لله تعالى ونفيه أن تكون بنوة حقيقية. يقول: "وكان يجوز دعوى أهل الكتاب على التوراة والإنجيل والزبور، وكتب الأنبياء صلوات الله عليهم في قولهم: إن الله قال: إسرائيل بكري. أي هو أول من تبنيت من خلقي. وأنه قال: إسرائيل بكري، وبنوه أولادي. وأنه قال لداود: سيولد لك غلام، ويسمى لي ابنا، وأسمى له أبا. وأن المسيح قال في الإنجيل: أنا أذهب إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم[3]. وأن المسيح أمر الحواريين أن يقولوا في صلواتهم: يا أبانا في السماء، تقدس اسمك[4]. في

1 من كبار رجال التاريخ النصراني، هو يهودي من فرقة الفريسيين، وكان اسمه "شاؤول" وكان يضطهد النصارى ويحارب المسيحية، إلا أنه فجأة اعتنقها وصار من مؤيديها، وادعى أنه تلميذ المسيح، وكان ذلك سنة 33م. وإليه تنسب النصرانية الراهنة في كثير من عقائدها وشعائرها. أبو زهرة محمد، محاضرات في النصرانية، الرئاسة العامة لإدارات والبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، طبعة 1404 هجرية، ص85

2 شلبي أحمد، مقارنة الأديان، المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة العاشرة، 1998، ص 205 – 206

3جاء في إنجيل يوحنا، الإصحاح 20: 17 "قَالَ لَهَا يَسُوعُ (يقصد مريم المجدلية): لاَ تَلْمِسِينِي لأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي. وَلكِنِ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ"

4 جاء في إنجيل لوقا، الإصحاح 11: 2 "فَقَالَ لَهُمْ (أي المسيح): مَتَى صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ، لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ، لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ."

أمور عجيبة، ومذاهب شنيعة، يدل على سوء عبادة اليهود، وسوء تأويل أصحاب الكتب، وجهلهم مجازات الكلام، وتصاريف اللغات، ونقل لغة إلى لغة، وما يجوز على الله، وما لا يجوز. وسبب هذا التأويل كله الغي والتقليد، واعتقاد التشبيه"[1].

ومنها أيضا في نفس السياق قوله: "وأن النصارى تقر أن في إنجيل مرقش: مازاذ، أمك وإخوتك على الباب[2]. وتفسير "مازاذ" معلم. فهم لا يمتنعون من أن يكون الله تبارك وتعالى أبا وجدا وعما"[3].

2: أبو الحسن العامري (توفي 381هـ) في كتابه "الإعلام بمناقب الإسلام"

من الإشارات الدالة على اعتماد العامري على العهد الجديد، ورجوعه إليه، تعريفه بالأناجيل الأربعة، وذكره لمحتواها العام. يقول العامري: "فأما الأناجيل الأربعة التي كتبها تلامذة المسيح، أعني متى ولوقا ومرقس ويوحنا، فهي تشتمل على أخبار المسيح عليه السلام، وما جرت عليه أحواله من لدن مولده إلى آخر أيامه، مقرونا بذكر ما سمعوه من مواعظه، وأمثاله، وثنائه على الله تعالى جده وتسابيحه ثم لا يزيد عليه"[4]. وذكره لرسالة أعمال الرسل ومضمونها العام. يقول: "ولقد صنف شمعون الصفا (أي بطرس) بعد كتابا يعرف ب البراكسيس[5]، غير أنه لم يودعه إلا أخبار تلامذة المسيح وما تصرفت عليه أحوالهم"[6].

ومن الإشارات كذلك الدالة على اعتماد العامري على العهد الجديد قوله: "ثم وجدنا في الإنجيل المنسوب إلى يوحنا في الفصل الخامس عشر منه: إن فارقليط روح

1 الجاحظ، المختار في الرد على النصارى، مصدر سابق، ص 72 – 73

2 وجدت في أنجيل مرقس النص كما يلي: "وَكَانَ الْجَمْعُ جَالِسًا حَوْلَهُ، فَقَالُوا لَهُ: «هُوَذَا أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ خَارِجًا يَطْلُبُونَكَ" الإصحاح 3: 32

3 الجاحظ، المختار في الرد على النصارى، مصدر سابق، ص 73

4 العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، مصدر سابق، ص 208

5 يقصد به سفر أعمال الرسل، وهو يأتي في الترتيب بعد الأناجيل الأربعة.

6 العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، مصدر سابق، ص 208

الحق الذي يرسله أبي باسمي وهو يعلمكم كل شيء[1]. فهذه هي ألفاظ البشارة من هاذين الكتابين، وقد نقلت إلى اللسان العربي من اللسان السرياني، وليس يجحدها أحد من أهل المعرفة بالكتابين"[2]. فقول العامري "ثم وجدنا في الإنجيل المنسوب إلى يوحنا"، وتحديده للفصل بدقة، دليل قاطع على اعتماده المباشر على نسخة من العهد القديم كانت عنده.

3: القاضي عبد الجبار الهمداني (توفي 415 هـ) في كتابه "تثبيت دلائل النبوة"

اعتمد القاضي عبد الجبار على العهد الجديد في كتابه ونقل منه، يقول مثلا:

"وفي النصارى من يزيد في الكذب والمخرقة ويقول: إنما قتل اليهود المسيح لأنه أحيا الموتى وأقام الزمنى في يوم السبت، وهذا دليل على أنه أحل السبت، ونسخ ما في التوراة. قلنا: قد بينا ما في الأناجيل وفي أفراسكس من وصايا المسيح بالتوراة، وما عمله، مما فيه بطلان هذه الدعاوي. ومما يزيد في البيان عن كذبهم قول متى في إنجيله: إن المسيح كان يتمشى بين الزروع يوم السبت، وكان تلامذته قد جاعوا، فجعلوا يفركون السنبل ويأكلون، فلما رأى الأحبار ذلك قالوا له: إن تلاميذك هوذا يفعلون ما لا يحل لهم فعله في السبت، فقال المسيح: فما قرأتم ما صنع داود إذ جاع، كيف دخل بيت الله وأكل من خبز مائدة الرب الذي لم يكن يحل له أكله، ما خلا الكهنة فقط."[3]

ويقول أيضا: "وذكر متى في إنجيله أن المسيح لما أبرأ الرجل الأمثال قالت له اليهود: هل يحل الإبراء في السبت؟ فقال لهم: إذا وقع لأحدكم كبش في البئر أما تستخرجونه، فالإنسان أفضل من الكبش، وأنه قد يجوز أن يفعل الفعل الجميل في السبت، فلو كان حل السبت لقال ذلك وأظهره ولم يحتج، وقد قال لوقا في إنجيله: إن

---

1 جاء في إنجيل يوحنا، الإصحاح 26:14 "وأما المعزي روح القدس الذي سيرسله الأب باسمي يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم". وجاء في إنجيل يوحنا أيضا، الإصحاح 15: 26 "ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب ينبثق، فهو يشهد لي".

2 العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، مصدر سابق، ص 204

3 القاضي عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، مصدر سابق، ج 1، ص 196

المسيح كان يعلّم في يوم السبت في بعض الكنائس، وكان هناك امرأة بها مرض منذ ثمانية عشر سنة، وكانت منحنية، ولم تك تستطيع أن تبسط قامتها، فلما رآها المسيح قال لها: أيتها المرأة قد أطلقت من مرضك، فعوفيت من ساعتها. فقال رئيس اليهود: إن الأيام التي يجوز فيها العمل ستة أيام ففيها تعالجون لا في السبت، فقال له المسيح :أما يطلق احدكم ثوره او حماره عن المعلف في يوم السبت ويذهب به ويسقيه الماء، فهذه التي هي بنت ابراهيم عليه السلام، وقد ربطها للشيطان منذ ثمانية عشر سنة لا يجب ان تطلق عن الأسر. فلو كان كما قال هذا الكذاب، لقال: السبت منسوخ، وكل الاعمال فيه جائزة مباحة"[1].

ويقول كذلك: "وأنتم معشر النصارى تذكرون أن متى حكى في إنجيله عن المسيح أنه قال: طوبى لكم معشر المصلحين بين الناس فإنكم تسمون أبناء الله. وقال متى في إنجيله: إن المسيح قال للناس: إن أباكم السماوي واحد فرد. وقالوا: إن المسيح كان يقول في صلاته التي كان يصليها ويعلمها الناس: قولوا يا أبانا الذي في السماء انت قدوس اسمك، عزيز سلطانك، نافد أمرك في السماوات والأرض، لا يعجزك ما طلبت، ولا يمتنع منك ما أردت، فاغفر لنا ذنوبنا وخطايانا ولا تعذبنا بالنار. فينبغي على قول النصارى أن تكون هؤلاء كلها آلهة وأربابا، لتعلم أن اسم الأب يقع في تلك اللغة على السيد والمالك"[2].

ويلاحظ من خلال ما أورده القاضي عبد الجبار أنه ينقل معاني النصوص ومضامينها، ولا ينقل النصوص حرفيا، وهذا لا يعني أنه لم يرجع إليها، لأنه لا يمكن نقل معنى النص دون قراءة له في مصدره.

4: أبو الريحان البيروني (توفي 440 هـ) في كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"

1 نفس المصدر، ج 1، ص 197

2 نفسه، ج 1، ص 119- 120

أشار البيروني إلى الإنجيل: حيث ذكره في مقدمة كتابه عند حديثه عن العلل التي تلحق بالمخبرين، مما يجعل كلامهم غير موثوق به، مستدلا بما جاء فيه على وجوب قول الحق مهما كانت الظروف. قال: "وقال المسيح عليه السلام في الإنجيل ما هذا معناه: لا تبالوا بصولة الملوك في الإفصاح بالحق بين أيديهم، فليسوا يملكون منكم غير البدن، وأما النفس فليس لهم عليها يد."[1] والناظر في إشارة البيروني هاته للإنجيل، يستنتج منها أنه رجع للنسخة الأصلية من الإنجيل المكتوبة بالسريانية، ذلك أنه قال: "وقال المسيح عليه السلام في الإنجيل ما هذا معناه." فقوله "ما هذا معناه"، يدل على أنه قرأ النص الأصلي المكتوب بالسريانية، وترجم معناه للغة العربية. وإلا لو كان اعتمد على نسخة عربية مترجمة لنقل العبارة دون أن يقول "ما هذا معناه".

5: ابن حزم الأندلسي (توفي 456 هـ) في كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل"

كما هو الحال بالنسبة للعهد القديم، فقد أورد ابن حزم كما هائلا من نصوص العهد الجديد خلال نقده للنصرانية، مما يؤكد رجوعه إليه، بل إنه وصف الأناجيل الأربعة وصفا دقيقا، وعد أوراقها، وبين حجم خط الكتابة فيها. وهذا لا يمكن أن يقدمه ويفعله إلا ممسك لتلك الأناجيل بين يديه. يقول: "وَأما النَّصَارَى فقد كفونا هَذِه المؤونة كلهَا، لأَنهم لَا يدعونَ أَن الأناجيل منزلَة من عِنْد الله على الْمَسِيح وَلَا أَن الْمَسِيح أَتَاهُم بهَا. بل كلهم أَوَّلهمْ عَن آخِرهم أيوسيهم وملكيهم ونسطوريهم ويعقوبيهم ومارونيهم وبولقانيهم لَا يَخْتَلِفُونَ فِي أَنَّهَا أَرْبَعَة تواريخ لفها أَرْبَعَة رجال معروفون فِي أزمان مُخْتَلفَة. فأولها تَارِيخ لفه مَتى اللاواني تلميذ الْمَسِيح بعد تسع سِنِين من رفع الْمَسِيح عَلَيْهِ السَّلَام، وَكتبه بالعبرانية فِي بلد يهوذا بِالشَّام. يكون نَحْو ثَمَان وَعشْرين ورقة بِخَط متوسط. وَالْآخر تَارِيخ لفه مارقش الهاروني تلميذ شَمْعُون الصَّفَا بن توما الْمُسَمّى باطرة بعد اثْنَيْنِ وَعشْرين عَاما من رفع الْمَسِيح عَلَيْهِ السَّلَام، وَكتبه باليونانية فِي بلد أنطاكية من بِلَاد الرّوم. وَيَقُولُونَ أَن شَمْعُون الْمَذْكُور هُوَ الَّذِي أَلفه ثمَّ محا اسْمه من أَوله وَنسبه إِلَى تلميذ

1 البيروني، تحقيق ما للهند، مصدر سابق، ص 13

مارقش. يكون أَرْبعا وَعشْرين ورقة بِخَط متوسط. وشمعون الْمَذْكُور تلميذ الْمَسِيح. والثالث تَارِيخ أَلفه لوقا الطَّبِيب الْأَنْطَاكِي تلميذ شَمْعُون باطرة أَيْضا، كتبه باليونانية فِي بلد أقاية بعد تأليف مارقش الْمَذْكُور يكون من قدر إنجيل مَتى. وَالرَّابِع تَارِيخ أَلفه يوحنا ابْن سيذاي تلميذ الْمَسِيح بعد رفع الْمَسِيح ببضع وَسِتِّينَ سنة، وَكتبه باليونانية فِي بلد اشينية، يكون أَرْبعا وَعشْرين ورقة بِخَط متوسط"[1].

6: أبو الفتح الشهرستاني (توفي 548 هـ) في كتابه "الملل والنحل"

نلمس اطلاع الشهرستاني على الأناجيل من خلال إيراده لعدد من النصوص منها. ومن بين تلك النصوص: "وقال المسيح في الإنجيل: ما جئت لأبطل التوراة، بل جئت لأكملها"[2]. ومنها: "وقد قال المسيح للحواريين: أَنَا أَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ وبَارِكُوا على لاَعِنِيكُمْ وأَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ من يؤذيكم لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاء، الذي تشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الصَّالِحِينَ والفجرة، وينزل قطره على الأبرار والأئمة، وتكونوا تامين كما أن أباكم الذي في السماء تام"[3]. ومنها أيضا: "وقال (يقصد المسيح): انظروا صداقاتكم فلا تعطوها قدام الناس لتراءوهم فلا يكون لكم أجر عند أبيكم الذي في السماء".[4]

---

1 ابن حزم، الفصل، مصدر سابق، ج 2، ص 3

2 الشهرستاني، الملل والنحل، مصدر سابق، ص 254. وهذا النص موجود في إنجيل متى بهذه الصيغة: "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ، بَلْ لأُكَمِّلَ." متى، الإصحاح 5: 17

3 الشهرستاني، الملل والنحل، مصدر سابق، ص 267. وهذا النص موجود في إنجيل متى بهذا الشكل: "وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيَّ فَضْل تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هكَذَا؟ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ". إنجيل متى، الإصحاح 5: 43 – 48

4 الشهرستاني، الملل والنحل، م س، ص 267. والنص كما جاء في إنجيل متى: "اِحْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ، وَإِلاَّ فَلَيْسَ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ". إنجيل متى، الإصحاح 6: 1

كما أشار الشهرستاني إلى الأناجيل الأربعة. وجاءت هذه الإشارة في المقدمة الثالثة عند حديث الشهرستاني عن أول شبهة وقعت في الخليقة، حيث قال: "وتلك الشبهات مسطورة في شرح الأناجيل الأربعة: إنجيل لوقا، ومارقوس، ويوحنا، ومتى، ومذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرات"[1].

كما يبدو واضحا أن الشهرستاني قد اطلع على رسائل بولس، وذلك من خلال قوله: "ورأيت رسالة فولوس التي كتبها إلى اليونانيين"[2].

7: أبو العباس القرطبي (توفي 658 هـ) في كتابه "الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام"

يبدو واضحا من خلال كتاب "الإعلام" أن القرطبي قد اعتمد على العهد الجديد بطريقة مباشرة في رده على النصارى، والدليل على ذلك هو احتواء كتاب "الإعلام" على عدد كبير من نصوص الأناجيل، والتي استدل بها القرطبي في مواطن كثيرة. فنجده مثلا يوضح صورا من التناقض في العهد الجديد، فيورد نصا من إنجيل متى جاء فيه على لسان المسيح: "لا تحسبوا أني قدمت لأصلح بين أهل الأرض. لم آت لصلاحهم لكن لألقي المحاربة بينهم. إنما قدمت لأفرق بين المرء وابنه، والمرأة وابنتها، حتى يصير أعداء المرء أهل بيته"[3]. ثم يورد نصوصا أخرى مناقضة تماما لهذا النص جاء فيها على لسان المسيح كذلك: "إنما قدمت لتحيوا وتزدادوا خيرا وأصلح بين الناس"[4]. "من لطم

1 نفس المصدر، ص23

2 نفسه، ص 264

3 جاء في إنجيل متى، الإصحاح 10: 34-36 "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا، بَلْ سَيْفًا. فَإِنِّي جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. وَأَعْدَاءُ الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ".

4 جاء في إنجيل متى، الإصحاح 20: 28 " كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ"

خدك اليمنى فانصب له اليسرى"[1]. ويعقب القرطبي على ذلك قائلا: "ولا مزيد في التناقض والفساد على هذا"[2].

كما يمكن أن نستشف توفر القرطبي على العهد الجديد من خلال بعض العبارات الواردة في كتاب "الإعلام" كقوله: "ومن اطلع على أناجيلكم علم على القطع أن عيسى عليه السلام بريء مما تدعونه به، وتنسبونه إليه"[3].

كما اعتمد القرطبي على كتب القديس أوغستين، أحد أشهر رجال المسيحية وعلمائها، فقد أورد عددا من أقواله لتعزيز أدلته وبراهينه، ومن ذلك قوله في مسألة التثليث: "...فثلاثتها اسم لإله واحد، ونعت لمدبر فرد، ولا تجد هي غيره، ولا يجد هو غيرها، فهذا قولنا في التثليث الذي وصفه الإنجيل، وأمر بالإيمان به، وسماه باللسان العجمي: الأب والابن والروح القدس"[4] يقول القرطبي معقبا: "فهذا كلام هذا القس، والنصارى يعترفون بأنه أعرفهم بدينهم وأعلمهم بشرعهم ويقينهم".[5]

المبحث الثالث: مصادر علماء المسلمين من الكتب المقدسة لباقي الأديان

إلى جانب كتب الديانتين اليهودية والمسيحية، رجع بعض علماء المسلمين ممن تناولوا أديان الهند والمجوسية والصابئة والمانوية وغيرها، إلى مصادر تلك الأديان واعتمدوا عليها بشكل مباشر. وفيما يلي نماذج من علماء المسلمين الذين رجعوا إلى تلك المصادر.

1: أبو الحسن العامري في كتابه "الإعلام بمناقب الإسلام"

---

1 جاء في إنجيل متى، الإصحاح 5: 39 " وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا"

2 القرطبي، الإعلام، مصدر سابق، ص 209

3 نفس المصدر، ص 101

4 نفسه، ص 83

5 نفسه، ص 83

قارن العامري في كتابه هذا بين ستة أديان، وهي المذكورة في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (سورة الحج، الآية 17) من جوانب مختلفة ودقيقة تقتضي الرجوع إلى مصادرها الأصلية لاستقاء المعلومات الصحيحة عنها، وهذا ما فعله العامري، حيث يظهر واضحا من خلال كتابه أنه قد رجع فعلا لمصادر تلك الأديان، ولم يعول على ما يروج على ألسنة أتباعها، لأنه ذكر مسائل عقدية وتشريعية دقيقة لا تستوعبها إلا بطون الكتب.

ومن بين المصادر التي أوردها العامري في كتابه نجد كتابا للمجوس سماه "أبستا[1]". يقول: "ولعمري إن للمجوس كتابا يعرف ب "أبستا" وهو يأمر بمكارم الأخلاق، ويوصي بها. وقد أتى بمجامعها عبد الله بن المقفع في كتابه المعروف بالأدب الكبير، وعلي بن عبيدة في كتابه الملقب بالمصون"[2]. ولعل قائلا يقول إن ذكر العامري للمضمون العام لهذا الكتاب لا يعني بالضرورة أنه قد رجع إليه، وإن ذلك مما قد يكون متداولا بين العامة. والجواب هنا بثلاثة أمور: أولهما أن العامري تناول في كتابه هذا الديانة المجوسية، التي هذا كتابها المقدس، وذكر كثيرا مما يتعلق بها من الناحية الاعتقادية والتشريعية والأخلاقية وغيرها[3]، وهي أمور دقيقة لا يمكن أن تكون متداولة بين العامة، ولا يمكن أن يذكرها إلا مطلع على الكتب المقدسة لتلك الديانة. وثانيها أن العامري قال

---

1 التسمية الأصلية للكتاب هي الأوستا، وعند العرب كان يعرف ب الأبستا. هو كتاب الزرادشتية المقدس، ولم يبق منه اليوم إلا أقله، وهو في صورته الحالية يحتوي على ثلاثة أقسام: 1 يسنا: وهو خاص بالطقوس الدينية. 2 يشت: وهو خاص بتراتيل القرابين. 3 ونديداد: أي القانون المضاد للشياطين، وهو خاص بالتطهر من الآثام والنجاسات. العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، مصدر سابق، حواشي المحقق، ص 159-160

2 العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، مصدر سابق، ص 159 - 160

3 من أمثلة ذلك قوله مبينا معتقد المجوس في الله تعالى: "والضد الذي اعتقده المجوس". العامري، ص 128. وقوله مبينا معتقدهم في الملائكة: "وادعاء الثنوية والمجوس ما يذكرونه لهم من الرفعة الإلهية". العامري، ص 131. وقوله مشيرا إلى قصر صلواتهم: "ولا أيضا من القلة في رتبة التقصير مثل صلوات المجوس". العامري، ص 139. وقوله متحدثا عن صيامهم: "ولم يقصر فيقل، كصوم المجوس، إذ ليس هو بصيام على الحقيقة". العامري، ص 142. وقوله موضحا زكاتهم: "والمجوس أيضا يرون الحث على المواساة بثلث المال للأزواج". العامري ص 144.

بعد أن ذكر المضمون العام لكتاب أبستا: "وقد أتى بمجامعها عبد الله بن المقفع في كتابه المعروف بالأدب الكبير، وعلي بن عبيدة في كتابه الملقب بالمصون". أي أنه قارن بين كتابي ابن المقفع، وعلي بن عبيدة، وبين كتاب أبستا، وبين أن ابن المقفع وعلي بن عبيدة قد أخذا من كتاب أبستا. وهذه النتيجة لا يمكن أن يقدمها إلا من اطلع على هذه الكتب الثلاثة جميعها. وثالثها أن العامري ذكر هذا الكتاب مرة أخرى، وأشار إلى تفاسيره ومحتواه العام.[1]

2: البيروني في كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"

اعتمد البيروني في تأريخه ووصفه لأديان الهند على مصادرها الأصلية المكتوبة. ولا يكاد المطالع لكتاب "تحقيق ما للهند" يمر بمبحث من مباحثه، دون أن تقع عينه على إشارات إلى مصادر مكتوبة، سواء كانت إشارات عامة، أو إشارات خاصة إلى كتب بأسمائها. بل إن البيروني خصص مبحثا كاملا للحديث عن أشهر الكتب الدينية لدى الهنود.[2] ولعلنا نذكر نماذج من الكتب التي ذكرها البيروني واعتمد عليها بشكل مباشر:

أ: كتب "الفيدا VEDAS"[3]، وهي الأشهر والأهم في الفكر الديني الهندي، بحيث خصص لها ولغيرها من كتب الهند الملية – كما سماها – مبحثا كاملا عنونه ب: "في

1 يقول العامري: "وللمجوس كتاب يعرف بأبستا، وقد فسر بكتابين آخرين يعرفان ب "زند" و "بازند". وهي متضمنة ذكر مصالح عيشهم. ص 181.

2 تحدث عنها البيروني في المبحث الثاني عشر من كتابه بعنوان: "في ذكر "بيذ" و "البرانات" وكتبهم الملية. تحقيق ما للهند، ص 106

3 أو الويدا، ومعناه العلم، وهو أشهر الكتب المقدسة لدى الهنود. وهو عبارة عن دائرة معارف دينية واسعة، تحتوي على اسفار كتبت في أزمنة مختلفة، وكان اسم "الفيدا" يطلق في القديم على كل الكتب الدينية الهندية، قبل أن يخص بأربعة كتب هي: "ريج فيدا Rig Veda" و"ياجور فيدا Yajur Veda" و"سام فيدا Sam Veda" و"آتورَ فيدا Ather Veda". ويعد السفر المسمى ب "الرّيج ويدا" أهمها، ويرى ماكس مولر أن هذا السفر وضع قبل المسيح بألف سنة على الأقل. الأعظمي محمد ضياء الدين، فصول في أديان الهند، دار البخاري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1997، ص 20 – 21

ذكر "بيذ"[1] و"البرانات" وكتبهم الملية"، وافتتحه بقوله: "بيذ، تفسيره العلم لما ليس معلوم، وهو كلام نسبوه إلى الله تعالى من فم "براهم"، ويتلوه البراهمة تلاوة من غير أن يفهموا تفسيره، ويتعلمونه كذلك فيما بينهم، يأخذه بعضهم من بعض، ثم لا يتعلم تفسيره إلا قليل منهم... ويتضمن "بيذ" الأوامر والنواهي، والترغيب والترهيب بالتحديد والتعيين والثواب والعقاب، ومعظمه على التسابيح وقرابين النار بأنواعها التي لا تكاد تحصى كثرة وعسرة..."[2] ثم ذكر كل ما يتعلق ب "الفيدا" من معلومات دقيقة، كوزن الكلام المكتوب به[3]، وأقسامه الأربعة[4]، "روكبيذ" و"جزربيذ" و"سام بيذ" و"أثر بن بيذ".[5]

ب: كتب "البرانات Puranas"[6]، والتي قال إنها ثمانية عشر كتابا، وأكثرها مسماة بأسماء حيوانات وأناس وملائكة، بسبب اشتمالها على أخبارهم، أو بسبب نسبة الكلام فيها أو الجواب عن المسائل إليها.[7] بل إنه ذكر أسماء الكتب التي كانت عنده منها: "والذي كان عندي منها مأخوذا من الأفواه بالسماع فهي: "أدبُران" أي الأول، و"مج بران" أي السمكة، و"كورم بران" أي السلحفاة، و"براه بران" أي الخنزير، و"نارسنك بران" أي الإنسي الذي رأسه رأس أسد، و"بامن بران" أي الرجل المتقلص الأعضاء بصغرها، و"باج بران" أي الريح..."[8]

1 أي "الفيدا" أو "الويدا" ولعل هذا اللفظ "بيذ" هو ما كان شائعا بين الهنود حين استقر البيروني بالهند.

2 البيروني، تحقيق ما للهند، مصدر سابق، ص 106

3 نفس المصدر، ص 108

4 نفسه، ص 108 – 110

5 سبق أن ذكرنا هذه الأقسام عند تعريف "الفيدا" وتعرف حاليا بأسماء: "ريج فيدا Rig Veda" و"ياجور فيدا Yajur Veda" و"سام فيدا Sam Veda" و"آتورَ فيدا Ather Veda".

6 تتحدث هذه الكتب عن أساطير الأولين، وتعتبر عند جماهير الهندوس الفيدا الخامس، لأن فهم الفيدا متوقف عليها، ويدعي الهندوس أنها موجودة منذ القدم مثل الفيدا، فالذي يريد أن يعرف حقيقة الفيدا، فعليه بالبرانات لأنها توضح كل حكاية رمزية فيه بالتمثيل والرواية القصصية. فصول في أديان الهند، مرجع سابق، ص 43

7 البيروني، تحقيق ما للهند، مصدر سابق، ص 120

8 نفس المصدر، ص 120

ج: كتاب "مهابهارتا Mahpharta"[1] وكتاب "كيتا Gita"[2]، في نفس مسألة اعتقاد الهنود في الله تعالى، حيث قال: "وفي كتاب "كيتا" الذي هو جزء من كتاب "بهارت"[3] فيما جرى بين "باسديو" وبين "آرجُن": إني أنا الكل من غير مبدأٍ بولادةٍ، أو منتهى بوفاة، لا أقصد بفعلي مكافأة، ولا أختص بطبقة دون أخرى لصداقة أو عداوة. قد أعطيت كلا من خلقي حاجته في فعله.."[4]

ولعل ما يؤكد مطالعة البيروني لهذه المصادر واعتماده المباشر على هذه الكتب، ترجمته لكتابين منها، وهو ما صرح به في مقدمة كتابه حيث قال: "وكنت نقلت إلى العربيّ كتابين أحدهما في المبادئ وصفة الموجودات، واسمه "سانك" والآخر في تخليص النفس من رباط البدن ويعرف "باتنجل" وفيهما أكثر الأصول التي عليها مدار اعتقادهم دون فروع شرائعهم، وأرجوا أنّ هذا ينوب عنهما وعن غيرهما في التقرير ويؤدّي إلى الإحاطة بالمطلوب بمشيئة الله."[5] والترجمة لا يمكن أن تتم دون التوفر على الكتاب الأصلي المراد ترجمته.

---

1 اسم الكتاب مركب من كلمتين: "مها"، أي العظيم، و"بهارت" أي الهند. وهو يتحدث عن الحرب الكبرى التي وقعت في الهند، أو ملحمة الهند الكبرى، التي تشبه الإلياذة والأوديسة عند اليونان. وهو من الكتب الهندية القليلة التي يعرف مؤلفها، وهو "وياس". وقد وقعت هذه الملحمة حوالي سنة 950 قبل الميلاد، وهي عبارة عن حرب بين أمراء أسرة ملكية واحدة، ولكن جميع ملوك الهند اشتركوا فيها مع هذا الجانب أو ذاك. شلبي أحمد، أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة 11، 2000، ص 75. ينظر أيضا: فصول في أديان الهند، مرجع سابق، ص 36

2 هو جزء من الملحمة الكبرى "مهابهارتا" وينسب إلى "كرشنا" أحد أبطال الهندوس المقدسين، وهو يشتمل على تعليمات ونصائح "كرشنا" لقائد الجيش "أرجن". والكتاب يقدم صورة الهيئة الاجتماعية الهندية في ذلك العصر، فنعلم منه ما كان عليه الشعب من المعتقدات الدينية، والعادات الاجتماعية، والأفكار الفلسفية، ووجهة نظره العامة في الحياة وبعد الممات. أديان الهند الكبرى، مرجع سابق، ص 79. ينظر أيضا: فصول في أديان الهند، مرجع سابق، ص 38

3 كان هذا هو الاسم الذي يطلق عليه، ولما اشتهر لقب باسم "مهابهارتا". فصول في أديان الهند، مرجع سابق، ص 36

4 البيروني، تحقيق ما للهند، مصدر سابق، ص 24 – 25

5 نفس المصدر، ص16

ومن الكتب والمصادر غير الهندية التي اعتمد عليها البيروني، وأشار إليها في كتابه، نذكر:

الإشارة إلى كتابي "سفر الأسرار"[1] و"كنز الأحياء"[2] ل "ماني"[3]: وهما من أهم وأشهر كتب الديانة المانوية، ففي حديثه عن عقيدة تناسخ الأرواح، التي وصفها بأنها عَلَمُ النحلة الهندية[4]، يشبه البيروني ما ورد في كتب الهند حول هذا المعتقد، بما ورد في كتاب "سفر الأسرار": "وحقيق علينا أن نورد من كتبهم شيئا من صريح كلامهم في هذا الباب، وما يشبهه من كلام غيرهم فيه." وبعد أن أطال في شرح معتقد تناسخ الأرواح عند الهنود[5]، قال: "وكان "ماني" نُفِي من "إيرانشهر" فدخل الهند ونقل التناسخ منهم إلى نحلته، وقال في "سفر الأسفار": إن الحواريين لما علموا أن النفوس لا تموت، وأنها في الترديد منقلبة إلى شبه كل صورة هي لابسة لها..."[6] وفيما يخص كتاب "كنز الأحياء"، فقد ذكره البيروني في سياق حديثه عن دلالات وآثار إطلاق بعض الألفاظ على مسميات معينة: "والمنانية[7] تشابه النصارى من أهل الكتاب، وصاحبهم "ماني" يقول في هذا

---

1 ذكره ابن النديم عند ترجمته لشخصية "ماني" وقال بأنه يحتوي على أبواب، منها باب ذكر الديصانيين، باب بن الارملة وهو عند مانى المسيح المصلوب الذي صلبه اليهود، باب شهادة عيسى على نفسه في يهودا، باب القول في الأرواح الأربع الزوال، باب شهادة آدم على عيسى، باب الخنادق الثلاثة، باب حفظ العالم، باب الأيام الثلاثة باب الأنبياء، باب القيامة. ابن النديم محمد بن إسحاق، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، طبعة 1978، ص 470

2 ذكره ابن النديم كذلك عند ترجمته لماني

3 هو نبي المانوية ومؤسسها، وهي ديانة غنوصية تأثرت بالمسيحية واليهودية والزرادشتية والبوذية، ولد سنة 216 ميلادية في بلاد الرافدين، وقد سمي بالبابلي، حيث أعلن نفسه "رسول الله المبعوث من بابل". السواح فراس، موسوعة تاريخ الأديان: الزرادشتية، المانوية، اليهودية، المسيحية، الكتاب الخامس، مكتبة الفكر الجديد، 2018، ص 63

4 البيروني، تحقيق ما للهند، مصدر سابق، ص 48

5 نفس المصدر، ص 48 – 51

6 نفسه، ص 51

7 أي الديانة المانوية، واسم المنانية هو الأكثر شيوعا عند علماء المسلمين الأوائل الذين تناولوا هذه الديانة. ماني والمانوية، مرجع سابق، ص 9

المعنى في كتاب "كنز الأحياء": إن الجنود النيرين يسمون أبكارا وعذارى وآباء وأمهات وأبناء وإخوة وأخوات، لما جرى به الرسم في كتاب الرسل..."[1]

هذا إضافة إلى مصادر أخرى متنوعة، إغريقية، ويونانية، ومجوسية، وعربية في مختلف الفنون، ذلك أن البيروني لم يقتصر في كتابه على ذكر معتقدات الهنود الدينية فحسب، بل تناول كذلك مواضيع اجتماعية، وفلسفية، وثقافية، وعلمية، وجغرافية. ومن هذه المصادر نجد كتاب "بليناس"[2] ذو الطابع الفلسفي، وكتاب "الحث على تعلم الصناعات"[3] لجالينوس، وكتاب "في آراء أفاضل الفلاسفة في طبيعة الفلك"[4] ل "فرفوريوس"، وكتاب "فاذن"[5] لسقراط، وكتاب "كشف المحجوب"[6] لأبي يعقوب السجزي، وكتاب "النواميس"[7] لأفلاطون، وكتاب "توسر هربذ الهرابذة"[8] وهو كتاب مجوسي.

1 البيروني، تحقيق ما للهند، مصدر سابق، ص 39

2 "... وما أشبه قول صاحب كتاب "بليناس" في علل الأشياء بهذا وكأنه مأخوذ منه: إن في الناس كلهم قوة إلهية..." تحقيق ما للهند، ص 40

3 "... كما يقول جالينوس في كتاب "الحث على تعلم الصناعات": ذووا الفضل من الناس إنما استأهلوا ما نالوه من الكرامة حتى لحقوا بالمتألهين..." تحقيق ما للهند، ص 25

4 "... وقال "فرفوريوس" في كتابه "في آراء أفاضل الفلاسفة في طبيعة الفلك": إن الأجرام السماوية إذا تحركت على مُتقَنِ أشكالها وهيآتها وترنمها بالأصوات العجيبة على ما قاله "فوتاغورس" و"ديوجانس" دلت على منشئها الذي لا مثل له ولا شكل" تحقيق ما للهند، ص 42

5 "... وقال سقراط في كتاب "فاذن": الجسد أرضي ثقيل رزين، والنفس التي تحبه تنقل وتتجذب إلى المكان الذي تنظر إليه لجزعها مما لا صورة له ..." تحقيق ما للهند، ص 59

6 "وذهب أبو يعقوب السجزي في كتاب له وسماه بكشف المحجوب إلى أن الأنواع محفوظة، وأن التناسخ في كل واحد منها غير متعد إلى نوع آخر..." تحقيق ما للهند، ص 59

7 "وفي المقالة الأولى من كتاب النواميس لأفلاطون قال الغريب من أهل أثينية: من تراه كان السبب في وضع النواميس لكم، أهو الملائكة أو بعض الناس؟ قال "الأقنوسي": هو بعض الملائكة." تحقيق ما للهند، ص 90

8 "... وكذلك المجوس، ففي كتاب "توسر هربذ الهرابذة" إلى "بتدوار كرشاه" جوابا عما تجناه على "أردشير بن بابك" : أمر الإبدال عند الفرس إذا مات الرجل ولم يخلف ولدا أن ينظرا، فإن كانت له امرأة زوجوها من أقرب عصبته باسمه..." تحقيق ما للهند، ص 93

خاتمة

بعد أن تأكدنا من خلال ما سبق، بأن علماء المسلمين قد رجعوا فعلا إلى مصادر وكتب الأديان المدروسة، واعتمدوا عليها بشكل مباشر، بقي لنا أن نتحدث عن أمر مهم جدا يدعم هذه الحقيقة ويزكيها، وهو مسألة ترجمة تلك المصادر إلى اللغة العربية، وزمن ترجمتها، خاصة وأن أغلب علماء المسلمين كانوا يجهلون بلغات تلك الأديان، ومن تم فإن مسألة رجوعهم لكتب الأديان الأخرى رهين بترجمتها إلى اللغة العربية. وبيانا لذلك يرى سعيد كفايتي أن هناك من الباحثين من لا يستبعد وجود ترجمة للتوراة كاملة أو على الأقل لبعض أجزائها قبل الإسلام. ولعل ما يؤكد هذا الاحتمال هو خوض بعض شعراء الجاهلية أمثال عدي بن زيد وأمية بن أبي الصلت والأعشى في أمور وأحداث توراتية.[1]

كما أن هناك أحاديث نبوية تؤكد هذا الطرح، ففي كتاب الحدود من صحيح البخاري أن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تجدون في التوراة في شأن الرجم. فقالوا: نفضحهم ويجلدون. قال عبد الله بن سلام: كذبتم، إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم. قالوا صدق يا محمد، فيها آية الرجم. فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما. فموطن الشاهد في الحديث هو أن اليهود جاؤوا بالتوراة وقرؤوا منها، مما يدل على وجود ترجمة لها في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

غير أن الأمر الذي لا خلاف حوله – يضيف سعيد كفايتي – هو أن ترجمة عربية للتوراة بدأت تظهر للوجود حوالي القرن الثامن الميلادي في عصر المأمون على يد أحمد بن عبد الله بن سلام (ما بين القرنين 8 و9م). وقام حنين بن إسحاق (800-873م) بترجمة كاملة لأسفار العهد القديم، ولكن اعتمادا على النسخة اليونانية المعروفة

1 كفايتي سعيد، دور ابن حزم في تأسيس علم مقارنة الأديان، مرجع سابق

بالسبعينية. وترجم يهودا بن إسحاق بن غياث سفر الجامعة إلى العربية. ومن الترجمات المشهورة لأسفار (العهد القديم) تلك التي قام بها سعيد بن يوسف الفيومي (882-942م). وأنجز بدوره أبو علي الحسن بن علي البصري أو يافث بن علي في النصف الثاني من القرن العاشر -وهو من أشهر القرائين- ترجمة لأسفار العهد القديم، مذيلة بتفسير مطول لها. وهذا العمل حرره يافث بن علي على غرار أغلب القرائين باللغة العربية لغة وخطا. وتُنسب إلى يشوع بن يهودا المكنى بالشيخ أبي فرج فرقان بن أسد ترجمة عربية للتوراة (930 و950م) أما في الأندلس فإن يوحنا أسقف أشبيلية ترجم في النصف الثاني من القرن الثامن أجزاء من العهدين القديم والجديد نقلا عن ترجمة لاتينية. والظاهر أن هذه المرحلة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية عرفت دون شك ترجمات أخرى كاملة أو جزئية للتوراة أو بقية أسفار العهد القديم أو الأناجيل وإن كنا لا نعرف عنها إلا الشيء القليل.[1]

وإذا كان هذا هو الحال مع العهد القديم والعهد الجديد، فإن الأمر لن يختلف كثيرا مع كتب باقي الأديان، والتي لا شك أنها قد ترجمت إلى العربية في بيت الحكمة ببغداد.

وهكذا يتأكد لنا بما لا يدع مجالا للشك، أن علماء المسلمين قد رجعوا فعلا، في دراساتهم للأديان، إلى مصادرها الأصلية، واستقوا منها معلوماتهم حول عقائدها وشرائعها وكل ما يتعلق بها، فجاءت دراساتهم للأديان علمية موضوعية نزيهة، تميزوا بها عمن سبقهم من دارسي الأديان في العصور القديمة، وسبقوا بها علماء الغرب في العصر الحديث. كما يتأكد لنا أنهم قد وضعوا الأساس المتين لبناء علم الأديان، أو علم مقارنة الأديان وفق قواعد علمية مضبوطة، وأنهم أسهموا في صرح بنائه إسهاما قيما لا يمكن التقليل من أهميته وأثره على كل من جاء بعدهم، وخصوصا علماء الغرب في العصر الحديث.

---

1 نفس المرجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم
- الكتاب المقدس، ترجم من اللغات الأصلية، دار الكتاب المقدس القاهرة، الإصدار العاشر 2013، الطبعة الخامسة
- أبو زهرة محمد، محاضرات في النصرانية، الرئاسة العامة لإدارات والبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، طبعة 1404 هجرية
- الأعظمي محمد ضياء الدين، فصول في أديان الهند، دار البخاري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1997
- ابن النديم محمد بن إسحاق، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، طبعة 1978
- البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب بيروت، طبعة 1403
- ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل بيروت
- الجاحظ أبو عثمان، المختار في الرد على النصارى، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى، 1991
- السواح فراس، موسوعة تاريخ الأديان: الزرادشتية، المانوية، اليهودية، المسيحية، الكتاب الخامس، مكتبة الفكر الجديد، 2018
- الشرقاوي عبد الله، علم مقارنة الأديان في التراث الفكري الإسلامي، منهجا وقضايا، دار الكتب العلمية بيروت
- الشهرستاني محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن قاعود، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثالثة، 1993
- شلبي أحمد، مقارنة الأديان اليهودية، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، طبعة 1997

- ✓ شلبي أحمد، مقارنة الأديان، المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة العاشرة، 1998
- ✓ شلبي أحمد، أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة 11، 2000
- ✓ العامري أبو الحسن، الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق ودراسة أحمد عبد الحميد غراب، دار الأصالة للثقافة والنشر، الرياض
- ✓ القاضي عبد الجبار الهمداني، تثبيت دلائل النبوة، دار المصطفى القاهرة
- ✓ كفايتي سعيد، دور ابن حزم الأندلسي في تأسيس علم مقارنة الأديان، بحث بمجلة التسامح، العدد22، السنة السادسة، مسقط 2008
- ✓ الكلام يوسف، مدخل إلى دراسة تراث اليهودية، دار صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2018
- ✓ مؤنس حسين، التاريخ والمؤرخون، دار المعارف، القاهرة، طبعة 1984
- ✓ مغيل آسين بلاثيوس، ابن حزم القرطبي، وتاريخه النقدي للأفكار الدينية، ترجمة محمد القاضي، محمد العمارتي، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، الطبعة الأولى 2021